خطبة بعنوان: الهم والحزن

يوم الجمعة: ٠٨/٠٧/١٤٤٠هـ لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد...

فيا أيها المسلمون... إن من العوارض التي تعرض للإنسان، وتكدر حياته، وتنغص عيشه الهم والحزن، وكان من نعيم أهل الجنة أنهم لا يحزنون فيها كما قال عز وجل عنهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر:٣٤]، ويقال لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾[الأعراف:٤٩] ولهذا امتن الله عز وجل على المؤمنين بأنهم لا يحزنون إذا حزن الناس فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأحقاف:١٣]

أيها المسلمون... والتحزين من الشيطان كما قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا...﴾[المجادلة:١٠]، وذلك أن الشيطان ينشط في جلب الحزن على العبد المؤمن حتى يقعده عن مصالحه دينه ودنياه وآخرته، وقد نهى الله عز وجل نبيه ﷺ عن الحزن فقال: ﴿...وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل:١٢٧]، ونهى المؤمنين عن الحزن فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]

أيها المسلمون... فعلى العبد أن يطلب الأسباب الدافعة للحزن الجالبة للراحة والطمأنينة والدعة والسكون؛ حتى تستقر له حياته، وحتى يهنأ بعيشه، فمن أعظم الأسباب الطاردة للحزن: الإيمان بالله، والعمل الصالح، وتقواه سبحانه، وأن يكون العبد من أولياء الله المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢] ﴿...فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة٣٨] ﴿...فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأنعام:٤٨] ﴿...فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأعراف٣٥] فالعبد يهنأ بعيشه، ويرتاح في دنياه بقدر قربه من الله عز وجل، وقربه من دينه وكتابه، وسنة نبيه ﷺ، فكلما كان حظه من ذلك عظيمًا كان حظه من الراحة والطمأنينة كبيرًا.

أيها المسلمون ... ومن الأسباب الطاردة للحزن أن يلجأ العبد إلى ربه، ويسجد بين يديه، ويظهر الافتقار إليه ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ*فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[الحجر:٩٧-٩٨] وروى البخاري أن النبي ﷺ قال: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)) فإذا أكثر العبد من السجود بين يدي الله تعالى، والاطِّراح بين يديه، وكان في ذلك مظهرًا للفاقة والحاجة والافتقار له سبحانه فإنه يكون حقيقًا بلطف الله ورحمته التي يفيضها على عباده المؤمنين.

أيها المسلمون ... من الأسباب الطاردة للحزن أن يلجأ العبد إلى ربه بسؤاله ودعائه، والإلحاح عليه، روى البخاري أن أنس بن مالك رضي الله عنها قال: خدمت النبي ﷺ فكنت أسمعه يقول كثيرًا: ((اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال))، وروى الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال:((ما أصاب عبدًا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ماضٍ فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي إلا أذهب الله همه، و أبدله مكانه فرحًا))،فقال الراوي: يا رسول الله أفنتعلمها؟ قال ﷺ:((ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها))، وروى أبو داوود أن النبي ﷺ دخل المسجد يومًا فرأى رجلًا من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: ((ما لي أراك جالسًا في المسجد؟))فقال: "يا رسول الله هموم لزمتني وديون" فقال النبي ﷺ: ((أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك وقضى دينك؟))قال: بلى يا رسول الله. قال: قل إذا أصبحت، وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)) قال أبو أمامة: "ففعلت فأذهب الله همي، وقضى ديني".

أيها المسلمون ... ومن الأسباب الدافعة للحزن الرضى والتسليم بما كتبه الله وقدره على العبد، والقناعة بما آتاه الله للعبد؛ فإن هذا من أعظم الأسباب الجالبة للراحة والطمأنينة والطاردة للهم والحزن قال عز وجل: :﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:١١٢] فإذا رُزق العبد إيمانًا بقضاء الله وقدره، وكفافًا وقناعةً بما آتاه الله تعالى لم يجد الحزنُ إلى قلبه سبيلًا.

أيها المسلمون ... ومن الأسباب الطاردة للحزن الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ روى الإمام أحمد والترمذي أن أبيّ بنُ كعبٍ قال : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ! إني أُكثِرُ الصلاةَ [عليك] ، فكم أجعلُ لك من صلاتي ؟ قال : ((ما شئتَ . قال : قلتُ : الرُّبعَ ؟ قال : ما شئتَ ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك . قلتُ : النِّصفَ ؟ قال : ما شئتَ ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك . قال : قلتُ : ثُلُثَين ؟ قال : ما شئتَ ، وإن زدتَ فهو خيرٌ لك . قلت : أجعلُ لك صلاتي كلَّها - **يعني** دعائي- . قال : إذًا تُكفَى همَّك ، ويُغفَرُ لك ذنبُك)).

أيها المسلمون ... من الأسباب الطاردة للحزن التوبة والاستغفار ولزوم ذلك فإنه من أعظم أسباب انشراح الصدر وسعة القلب، وطمأنينة الفؤاد:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وعند الترمذي: :((من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب))

أيها المسلمون ... إن الشيطان لا يزال بالعبد ينظر في أمره، ويتفكر في حاله حتى يدخل عليه، فإذا رأى أنه يمكن الدخول عليه من باب التحزين دخل عليه من ذلك الباب، وجلب عليه أنواعًا من الهموم، وصنوفًا من الغموم؛ لأن ذلك من أسباب القعود عن الطاعة، والكسل عن طاعة الله تعالى، والقعود عن مصالح العبد في دينه ودنياه، وآخرته ولهذا فعلى العبد ألا يطمئن إلى الحزن، ولا يقعده الهم بل عليه أن ينفض ذلك كله بطاعة الله تعالى، ودعائه، والإلحاح عليه، والافتقار بين يديه، والرضى والتسليم بقضائه و قدره، والقناعة بما أعطاه ربه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وتقبل الله منا ومنكم تلاوته إنه هو السميع العليم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا...

اعلموا أن خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار، واعلموا أن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته وثلث بكم أيها المؤمنون فقال جل من قائلٍ عليمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦]

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد، وارضَ اللهم عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعلي وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنَّا معهم بمنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين.